احمد فارس الشدياق رائد النهضة العربية الحديثة (حياتهُ و آثارهُ)

زهراء فاروق علوان
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

المستخلص

يُعد الشدياق احد اعلام النهضة العربية الحديثة، فقد تمتع بمكانة مميزة بين ادباء عصره، اذ اضاف الى النهضة الادبية الحديثة في اللغة والادب والفكر في بلاد العرب والاسلام اضافات جعلته باحث رائداً من رواد القرن التاسع عشر، فقد انشأ للادب في عهده دولة جعلته احد نقاد عصره ودعوه بصقر لبنان تشبهاً بـ (صقر قريش).

كما لقب الشدياق بـ جاحظ عصره و فولتير جيله و خليل القرن التاسع عشر كما لقب ايضاً بـ ((فيكتور هيجو)).

تميزت شخصية الشدياق بانها ذا سلاسة في الاسلوب ووضوح في المعنى والهدف، وقدرة فذة على التحليل والوصف والنظم والنشر، كما تفوق في اللغة والبلاغة والنحو مما جذب اليه العديد من ذوي الشان والسلطة.

مما جعل الشدياق يسهم وبشكل فعال في نشر الثقافة العربية خلال تعليم اللغة العربية في المدارس الاوربية، وتأليف العديد من الكتب المنهجية ومؤلفات في اختصاصات عدة فضلاً عن ذلك أسس الشدياق مطبعة الجوائب وهي من اشهر المؤسسات الثقافية العربية الاسلامية في القرن التاسع عشر، حيث اسهمت في طبع ونشر عدد من امهات التراث العربي، مما جعل العديد من المستشرقين يشيدون بالدور الكبير الذي لعبه الشدياق آنذاك حيث وصفه المستشرق والمؤرخ المشهور (جب) بانه "احد الابطال العظام المدافعين عن الاسلام".

كانت وفاة الشدياق خسارة كبيرة ليس لوطننا العربي فحسب بل للعالم اجمع، وما يؤكد ذلك ان تشيع جثمانه قد حضره العديد من كبار العلماء والولاة والحكام، الا ان ذكراه ظلت حاضرة حتى وقتنا الحاضر حيث يشار اليه بأنه احد رواد النهضة العربية الحديثة.

Pioneer of Modern Arab renaissance (His life and his effect)
Ahmed Faris Al Shidyaq

Zahraa Faruq Alwan
University of Baghdad - College of Education for Women - History Dept.

Abstract

AI-Shidyaq is considering one of the scholars' of Arab modern Renaissance. He enjoyed a dusting nished status among the men of letters of his age. He added many things in language and literature that made him, during the Arab modern Renaissance, a pioneer researcher in the 1900s. He had established a state for literature that turnal him in to one of the critics of his age, to the extent that he was called the Eagle of Lebanon (similar to the Eagle of Quraish).

He was also called the Jahiz of his age, Voltaire of his generation and Khleel of the 1900s. He was also called Victor Hugo.

He was characterized by a character of smoothness in style, Clarity in meaning and purpose, an ability to analyze, Describe and write prose and poetry, He was so brilliant in langrage, Rebetorics and grammar. That why he attracted many powerful people.

He participated in spreading Arabia culture by teaching Arabic in European schools and compiling many books in different specializations. Al-Jawaeb printing house, Which was founded by Al-Shidyaq, One of the most famous institutions in Islamic Arab culture in the nineteenth century. it contributed in printer and publishing many masterpieces of Arab heritage. Accordingly, many oriantalists praised the great role played by Ah-Shidyaq at that time. He was dissented by orient list and historian (Gibb) as "one of the great heroes who defend lslam". The death of Al-Shidyaq was considered a great loss, not only to our Arab home lard but also to the whole world. This can be proved by his burial, which was attended

by many great scholars and wails'. Besides, his memory is still present up to now, for he is referred to as one of the pioneers of modern Arab Renaissance.

المقدمة

يُعد الشدياق احد اعلام النهضة العربية الحديثة، فقد تمتع بمكانة مميزة بين ادباء عصره، اذ اضاف الى النهضة الادبية الحديثة في اللغة والادب والفكر في بلاد العرب والاسلام اضافات جعلته باحث رائداً من رواد القرن التاسع عشر، فقد انشأ للادب في عهده دولة جعلته احد نقاد عصره ودعوه بصقر لبنان تشبهاً بـ (صقر قريش).

كما لقب الشدياق بـ جاحظ عصره و فولتير جيله و خليل القرن التاسع عشر كما لقب ايضاً بـ ((فيكتور هيجو)).

ويمكن ان نفهم حقيقة التيارات التي سادت القرن التاسع عشر قومياً وسياسياً، يمكن فهمها من خلال التعرف على حياة الشدياق منذ خروجه من لبنان واستقراره بمصر ثم هجرته الى مالطا ثم الى تونس واقامته في بريطانيا وفرنسا ثم استقراره اخر الامر في الاستانة.

اقتضت الضرورة العلمية على تقسيم البحث الى مقدمة ومحاور عدة ثم خاتمة. تناولت في البداية نسب واسرة احمد فارس الشدياق وضحت فيه سلالة الشدياق مع اعطاء نبذة مختصرة عن اخوة الشدياق ووالدي الشدياق. اما المحور الثاني للبحث فقد سلط الضوء على نشأة الشدياق خلال مدة اقامته في لبنان قبل سفره الى بلدان عدة.

اما المحور الثالث للبحث قد تناولت مراحل حياة الشدياق وقسمت حياة الشدياق الى مراحل عدة حسب الاماكن التي زارها، وكانت اول مراحل حياته هي مصر (١٨٢٦-١٨٣٤) مبينة اهم الاعمال التي تقلدها ولاسيما عمله في تحرير جريدة الوقائع المصرية، اما المرحلة الثانية من حياته هي مالطا (١٨٣٤- ١٨٤٨)، وخلال اقامته فيها لم يكاد يوجد كتاب مطبوع في مالطا الا وكان الشدياق هو مؤلفه، بسبب مدة اقامته الطويلة فيها حوالي اربعة عشر عاماً، ومن اهم مؤلفاته فيها (الواسطة في معرفة احوال مالطا)، فضلاً عن مؤلفات عدة، الا ان الشدياق اضطر السفر الى اوربا (١٨٤٥-١٨٥٧) بعد قرار لجنة المعارف المسيحية لاستكمال ترجمة كتاب (الصلوات العامة)، والتحق بالدكتور (لي) لاستكمال ترجمة التوراة.

ترك الشدياق اوربا بعد مدة استغرقت عامين ونصف العام لان باريس لم تكن في مستوى الامال التي علقها عليها واسباب اخرى.

اما اقامته في تونس (١٨٤١-١٨٥٩)، من اهم الاحداث التي شهدتها مدة اقامته بتونس هو اسلامه فيها حيث غير اسمه من فارس الى شدياق، فضلاً عن التقاءه بشخصيات سياسية عدة ومدحه لهم ولاسيما باي تونس، وعلى الرغم من تقربه من باي تونس وحصوله على مناصب عدة الا انه غادرها متوجهاً نحو الاستانه التي كانت اخر محطات الشدياق بعد تلبية دعوة السلطان عبد الحميد الثاني له، واهم انجازات الشدياق في الاستانه هو اصداره جريدة الجولائب الاسبوعية التي تركت بصمة واضحة في تاريخ الصحافة العربية، الا ان شيخوخة الشدياق منعته من مواصلة العمل في جريدة الجوائب الى ان توفي الشدياق في عام ١٨٨٧ في الاستانه حيث نقلت جثمانه الى لبنان بناءاً على طلبه.

وقد ختمت بحثي في تسليط الضوء على اهم اثار ومؤلفات الشدياق والتي من اهمها (خيرية اسعد الشدياق) و (الواسطة في معرفة احوال مالطا) و (الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية) و (اللفيف في كل معنى ظريف) و (كشف المخبأ في فنون اوربا) فضلاً عن مؤلفات اخرى.

نسبهُ واسرته

هو احمد فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق[١] من سلالة المقدم رعد بن خاطر الحصروني الماروني الذي تولى جبل كسروان سبعة وثلاثين عام في اوائل القرن السابع عشر للميلاد[٢].

ولد احمد فارس الشدياق من ابوين مسيحيين هما اللذان اطلقا عليه اسم فارس وظلت هذه التسمية تلازمهُ الى ان أسن وكبر وجاوز الخمسين من العمر[٣].

دفع اسلام احمد فارس الشدياق الى ان يحور اسمه الاول الى اسم اخر اكثر ملائمة للدين الاسلامي واختار الشدياق اسم (احمد) وصار من ذلك الوقت يعرف عند الناس عامة والمسلمين خاصة باسم احمد فارس[٤]. اما التسمية الثالثة هي الفاريق وهي التسمية التي اطلقها فارس الشدياق على نفسه حين اراد ان يعرف الناس بنفسه او يؤرخ لنفسه بنفسه[٥].

ان الشدياق سليل اسرة من اعرق الاسر اللبنانية ومن اكثرها شهرة علماً وادباً إذ كانت تمدُّ الامراء والمشايخ اللبنانية بالكتبة والمحاسبين لاموالهم وعقاراتهم[٦]، وقد عمل والده في خدمة الامراء الشهابين، ولا سيما عندما عينه الامير حسن شهاب مدبراً لشؤونه واشترى داراً في عشقوت وهي احدى قرى كسروان بايعاز من الامير حسن ونقل افراد عائلته اليها[٧]، الا ان يوسف الشدياق اضطر الى ترك داره والنزوح الى حدث في ساحل بيروت عام ١٨٠٩ بسبب الخلافات السياسية التي دارت بين الاخوة وابناء العمومة من الامراء الشهابين وبما ان الشدايقة كانوا مقربين الى الحكام فانهم كانوا ضحية الانتقام والتشفي من هذا الحاكم او ذاك كلما جاء غيره من الحكام ، ومن ثم اثر ذلك على حياة اسرة الشدياق بصورة عامة وحياة احمد فارس الشدياق بصورة خاصة[٨].

اما امهُ فكانت من بيت مسعد، وهي عائلة ذات نفوذ وعز[٩]، ويقدم لنا احمد فارس صورة بليغة عن ابويه فيذكر انهما كانا " من ذوي الوجاهه والنباهه والصلاح الا دينهما كان اوسع من دنياهما، وصيتهما اكبر من كيسهما وكان لطبل ذكرهما دوي يسمع من بعيد، ولزوابع شأنهما عجاج ثناء يثور في الجبال والبيد، ولتكويم العفاة عليهم واعتشاء الوفود لديهم

تعطلت سبل دخلهما ونزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الانزازات يلقى فيها المحقق المحروم سوادا من عوز، فكانا يجودان به ايضا من عوز السداد"[١٠].

اما اخوة الشدياق وهم خمسة فقد عرفوا جميعا بحبهم للعلم والمعرفة، وهم طنوس الشدياق (١٧٩١-١٨٦١) وهو اكبر اخوته، تخرج من مدرسة عين ورقه[١١]، وزاول التجارة زمنا ثم انقطع الى خدمه الامراء الشهابيين فارسلوه الى عكا ودمشق، وقد اشتهر طنوس بمعارفه التاريخية فصنف كتابه المسمى "بأخبار الاعيان في جبل لبنان"[١٢].

اما اخوه الثاني منصور(١٧٩٥-١٨٤١)، وقد اقتبس العلم في مدرسة عين ورقة واتقن الخط السرياني ونسخ به كثيرا من الكتب، وعمل ايضا في خدمة الامراء الشهابيين[١٣]، اما اسعد هو ثالث الاخوة(١٧٩٨-١٨٣٠)، وقد تعلم العربية والسريانية على يد اخيه طنوس، فقام اسعد بتدريس المرسلين المبشرين الاميركان اللغه العربية. وانتهز هؤلاء فرصة اختلاطه بهم وتردده عليهم لاستمالته الى معتقدهم ولم يمض وقتاً طويلا حتى اعلن اسعد تركه المذهب الماروني[١٤]، وتحوله الى المذهب البروتستانتي[١٥]، وقد اثار هذا الاخر سخط البطريارك الماروني، فامر بسجنه في دير قنوبين حتى وافاه الاجل عام ١٨٣٠،وكانت حادثة اسعد ذات تاثير بالغ في حياة اخيه احمد فارس مما دفعته الى الثوره على رجال الدين[١٦].

اما غالب فهو رابع الاخوة(١٨٠٠-١٨٤٢)، فقد ذهب الى مصر، وحقق فيها مكانة مرموقة لدى محمد علي باشا، وعمل كاتبا للحسابات في الديوان العالي[١٧].

كان هولاء هم اخوة احمد فارس وتلك هي شخصياتهم ومكانتهم في السياسة والمجتمع، ولا شك في انه سيجد في اشعاعهم وطموحهم، كما وجد ذلك في ابيه من قبل، خير مساعد له على الاقتداء بجمعهم والتأثر بهم، لاسيما بالنسبة الى طفل مثله عرف بالذكاء وقوه الذاكرة[١٨].

نشأة الشدياق

ولد احمد فارس الشدياق الاخ الخامس في قرية صغيرة من قرى لبنان تسمى(عشقوت)[١٩]. ثم انتقل مع والديه الى قرية الحدث في ساحل بيروت عام ١٨٠٩[٢٠].

تعلم الشدياق مبادئ القراءة والكتابة في القرية على يد معلم لم يقرأ في حياته سوى كتاب الزبور الذي وصفه بالغموض، وفساد ترجمته الى العربية، وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي[٢١]. ثم ارسل الى مدرسة عين ورقة في كسروان، فاتقن اللغة السريانية والغربية والنحو والمنطق وعلوم البلاغة واللاهوت، واتم فيها مرحلة الابتدائية، وقد ساعده ايضا على زيادة التحصيل اخوه سعد الا ان المعلم نصح اباه ابقاءه في البيت، وتدريبه على اجادة الخط والنسخ، فعمل بذلك حتى برع فيهما[٢٢].

ظل الشدياق يتدرج في المعرفة في ظل رعاية والديه الا ان سوء الاوضاع السياسية في (الحدث) ادت الى هربه مع والدته الى دار حصينة بالقرب منها، وعندما هدأت الامور عادا الى بيتهما الذي تعرض الى النهب بما في ذلك الطنبور وهي الة يعزف بها اوقات الفراغ، ولهذا الطنبور مقام في سيرة الشدياق، لانه رافقه في الحداثة الى الشباب[٢٣]. اما والده واخوته فقد فروا الى دمشق، وبقي الاب هناك الى ان اشتد المرض عليه في دمشق وتوفي عام ١٨٢١ وحزن الشدياق مع والدته التي كانت تنفرد في بكاءها ظناً ان ابنها الشدياق لا يراها في انفرادها حتى لا يزيد حزنا، الا ان الشدياق كان ينظرها في خلوتها، ويبكي لوحشتها اشد البكاء، فإذا رجعت كفكف عبراته، وتشاغل بالكتابه وغيرها[٢٤].

ادرك الشدياق حينها ان لابد من الاعتماد على نفسه، فاتخذ النساخة حرفة له، وكان ينسخ الكتب لنفسه ولغيره بالأجرة ، فأستدعاه الامير حيدر الشهابي[٢٥]. لنسخ ما جمعه من مخطوطات ومراجع لكتابه (الغرر الحسان في اخبار اهل الزمان)[٢٦].

ما لبث ان مل الشدياق من النساخه فعمل مع صديقا له كتاجرين متجولين واشترى من اجل ذلك حماراً يحمل عليه البضاعة، ولم تكن بضاعته في ذلك الوقت الا قطعا مختلفه الانواع والاشكال من القماش الذي يصلح للزينه واللباس[٢٧]. الا انه ترك حرفة التجارة وعاد مرة اخرى الى حرفة النساخة معللا ذلك بقوله، "أنه لما احس بضنك السفر، ولقى منه ما لقى من الضرر، تبين له ان شق القلم اوسع من حقائب الساعة ويرضى بعين العيش وخشنة، ولا يبالي ان لم يكن ذا شارة رائعة والمعرفة او اطلالة رافعة او معيشة واسعة"[٢٨].

لم يستمر الشدياق العمل في حرفة معينة بل ظل متنقلا من حرفه الى اخرى، اذا عاد الى حرفة التجارة مرة اخرى وهذه المرة استاجر خاناً على طريق مدينة الكعيكات، وعلى الرغم من ان التجارة قد درت اموالا وهو ما كان يبحث عنه الشدياق، الا ان جدةً لم تعجبه هذه الحرفه، فعاد الشدياق مرة اخرى الى نسخ الكتب والى تعليم بعض ابناء الامراء وبناتهم[٢٩].

تلقى الشدياق بعض العلم عن اخيه اسعد، وكان شديد التعلق بأخيه لذا ادى اعتقاله ووفاته الى غضب الشدياق من الكنيسة المارونية، مما جعل الاخير يقترب من المرسلين المبشرين البروتستانت واعتناق مذهبهم وليس هذا فحسب، بل غادر لبنان غاضبا ناقما على من كانوا سببا في موت اخيه اسعد[٣٠].

تميزت تلك المدة من حياة الشدياق بالبحث عن اسباب العيش والمعرفة والعقيدة المتحررة تحت ظروف من الحرمان والعذاب والمآسي وهو ماحمله على الهجرة والبحث عن بلد اخر غير بلده لبنان[٣١].

مراحل حياة الشدياق

تنقل الشدياق بين اماكن ودول عديدة تركت اثارا واضحة في حياته وشخصيته بأبعادها الثقافيه، والدينية، والفكرية، والاجتماعية ولعل اهم العوامل التي دفعته الى القيام بتنقل عوامل سياسية واقتصادية ودينية وفكرية. لذا يمكن تقسيم حياته الى مراحل وفق الاماكن التي زارها واقام فيها[٣٢]، وهي :

المرحلة الاولى: الشدياق في مصر(١٨٢٦_١٨٣٤)

سافر الشدياق الى مصر، عام ١٨٢٦، وساعده في سفره المبشرين الامريكين للعمل مع جماعتهم بعد لجوئه اليهم، وصل الشدياق الاسكندرية ومعه رسالة من القس اسحق برد الى المرسل المقيم في الاسكندرية، فوافق المرسل بابقائه عنده، الا ان اسحق اصر على سفره الى مالطا، ليفقهه في البروتستانيتية ومن ثم الاحتفاظ به للعمل التبشيري[٣٣].

وفي صيف عام ١٨٢٦ وصل الشدياق الى مالطا، فتعلم الشدياق الانكليزيه لتساعده على ان يكون مبشرا بروتستانتيا، الا انه اصيب بداء المفاصل وكان هذا المرض سبباً في ارجاعه الى مصر بعد اقامة تجاوزت العام[٣٤].

كانت عودة الشدياق الى مصر ذات اثر كبير في تحويل مجرى حياته من خلال تخلصه من التبشير، والمبشرين، فتعلم العلوم العربية وتقرب من خيرة علماء المصرين كالشيخ محمد شهاب الدين الحلبي ومن محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) حاكم مصر، فعهد اليه محمد علي بتحرير جريدة (الوقائع المصرية) التي كتبت باللغة العربية بعد ان كانت قبله تكتب باللغة التركية[٣٥]. لكنه لم يستمر في ذلك فعمل في مدرسة تابعة للكنيسة الانكليزية، وفي اثناء وجوده في مصر احب فتاة من بيت الصولي من وجهاء السورين، فصاهرهم وولدت له ولدين هما فائز وسليم اما الاول فتوفي في ضواحي لندن في اثناء اقامته فيها، وبقي سليم الذي عرف بـ (سليم افندي فارس) نزيل بلاد فارس[٣٦].

المرحلة الثانية: الشدياق في مالطا (١٨٣٤_١٨٤٨)

سافر الشدياق الى مالطا مع زوجته في عام ١٨٣٤ ، بعد ما دعاه رئيس البعثة التبشيرية في مالطة لوظيفة يتولى فيها تعريب الكتب وتصحيح لغتها ثم الاشراف على ما يطبع منها، فقبل الشدياق بهذا العمل وذلك لسبب مادي، وحبه للسفر واسباب اخرى[٣٧].

ويذكر خلال اثناء اقامته في مالطا لاربعه عشر عاماً لم يكاد يوجد كتاب مطبوع في مطبعة مالطا الا كان هو مؤلفهُ او مترجمهُ او مصححهُ، ومن جملة ما ألفه كتاب(الواسطة في معرفة احوال مالطا) واصفاً به مالطا اذ لم يغادر معلماً من معالمها دون ان يتناوله[٣٨]. كما قام الشدياق بترجمة كتاب (الصلوات العامة على موجب استعمال الكنيسة الايرلندية مع فرامير داوود)، وقد انجز الشدياق ترجمة الكتاب المذكور وتم طبعه في لافاليت عاصمة مالطا عام ١٨٤٠[٣٩].

اعجب المرسلون المبشرون بعمل الشدياق واثنوا عليه، مما جعل حاكم مالطا ان يدعوه في المناسبات الى بيته، فطلب منه الحاكم تعليم المالطيين اللغة العربية في احدى المدارس الحكومية[٤٠]. فكان رد الشدياق الرفض لانه يتعارض مع عمله في مطبعة (جمعية نشر المعارف المسيحية)، الا ان الحاكم تعهد له بانه سيتوسط لدى الجمعية فقبل الشدياق العمل في مجال التعليم، لذا رأى الشدياق الحاجة الماسة لوضع كتب مدرسية، ملخص كتاب القواعد وهو (بحث المطالب) للمطران جرمانوس فرحان وقام بطبعه، ثم وضع كتاب (الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية) ثم صحح كتاباً للجغرافية اسمه (الكنز المختار في كشف الاراضي والبحار)، ثم وضع الشدياق كتابه الاول في القواعد (اللفيف في كل معنى ظريف) ليحل محل كتاب المطران فرحات[٤١].

ثم اصدر في مالطا كتابه الادبي المعروف (المحاور الانشائية في اللغتين العربية والانكليزية) في عام ١٨٤٠ وهو مكمل لكتاب (الباكورة الشهية)، كما قام بترجمة كتاب (شرح طبائع الحيوان) وسيتم ذكر مؤلفاته لاحقاً[٤٢].

ثم غادر الشدياق بعد ذلك مع رئيس المطبعة الى بيروت بسبب مرض الاخير، فزار بلدته الحدث ومدن اخرى، فأخذ بالمقارنة والمفاضلة بين الشرق والغرب ولعله بعد تلك الزيارة ازداد امتناعاً بضرورة تنمية النهضة العربية، الا ان الشدياق اضطر العودة الى مالطا في اواخر عام ١٨٤٠ ، بسبب ارتباطه بالتدريس في الجامعة المالطية[٤٣]. فكلفته لجنة الترجمة التابعة لـ(جمعية نشر المعارف المسيحية) بترجمة كتاب (الصلاة العامة) المطول فترجمه لهم الى اللغة العربية[٤٤].

وكان الشدياق قد اقيل من عمله من المطبعة عام ١٨٤٣ في مالطا، يعود ذلك الى ان اتصال المطران (اثناسيوس التتنجي الحلبي)، باعضاء لجنة الترجمة، أفسد على الشدياق عمله بحجة ان لغة الشدياق غير جيدة[٤٥]. الا ان التتنجي لم يكن في مستوى العمل الذي كلف به، لذا اصر الدكتور (لي)[٤٦]، على عودة الشدياق الى عمله لكفاءته في الترجمة، وعلى الرغم من ذلك الا ان الجمعية رفضت ذلك بسبب سلوك الشدياق السابق معها، الا ان اللجنة توصلت الى قرار انه بالامكان استخدام الشدياق في بريطانيا، وكان ذلك القرار بعد استشارة اسقف جبل طارق في مالطة فرحب به الشدياق، ولكنه ابدى رغبته في الا يضيع عليه مركزه كمدرس للغة العربية في مالطا[٤٧]. وبعد ثمانية اشهر قضاها الشدياق مترجماً في لندن عاد الى مالطة، وما ان فتح باب داره حتى (شم رائحة العشق والخيانة) اذ وجد عند زوجته شاباً، فتدهورت العلاقة بين الزوجين وساءت احوال الشدياق النفسية وسادها الحزن فلازم البيت[٤٨]. وقد اشار في كتابه خيانة المرأة لزوجها فقال ((أخون ماتكون المرأة اذا غاب عنها زوجها))[٤٩].

وقد عد عماد الصلح في مؤلفه عن الشدياق موضوع خيانة المرأة ردة فعل لحادثة خيانة زوجته، واذا كانت حادثة شقيقه اسعد قد كونت جزءً من شخصيته الفكرية فان هذا الحادث كون الجزء الاخر[٥٠].

ظل الشدياق بعد عودته من لندن يعلم المالطين، الا انه حاول ترك عمله في التعليم لاسيما انه كان مطبوعاً على الملل والجزع، فسافر الشدياق باريس لملاقاة باي تونس احمد باشا، وبعدها سافر الى تونس بناءً على طلب الباي [٥١].

ولما عاد الشدياق الى مالطا من تونس توفرت له اعمال اخرى فضلاً عن التدريس فقد اخذ يعلم في كلية (سان جوليان البروتستانية)، كما كان يقوم ايضاً باعطاء الدروس الخصوصية في اللغة العربية والترجمة، الا ان الشدياق قرر السفر الى لندن في عام ١٨٤٣ بعد ان تلقى دعوة من الجمعية لترجمة التوراه وبهذه الدعوة اقبل الشدياق على مرحلة جديدة في حياته، بعد ما كانت اقامته بمالطا عوامل تكوين شخصيته الادبية والفكرية[٥٢].

الشدياق في اوربا (١٨٤٥-١٨٥٧)

ان سبب اقامة الشدياق الاولى في بريطانيا عام ١٨٤٥، يعود الى الخلافات التي حدثت بينه وبين المطران التتنجي في مالطا، فاضطر السفر الى هناك بعد قرار لجنة نشر المعارف المسيحية -وهذا ماتم ذكره سابقاً- لاستكمال ترجمة كتاب (الصلوات العامة)، فمر بنابولي وليفورنة وجنوة والفاتيكان مدينة البابا ومرسيليا وباريس ومنها التحق بلندن فقرية بارلي اذ عمل في الترجمة مع الدكتور (لي) لاستكمال ترجمة التوراة الى العربية[٥٣].

لم يكن الشدياق مرتاحاً في هذه القرية بسبب الحرمان والضيق مما اضطر الى تركها بعد مدة استغرقت الشهرين، ثم انتقل الى كمبرج لمراجعة ترجمته مع (توماس جاريت) استاذ اللغة العربية بجامعة كمبرج، واحياناً مع القس (جورج سسل رينولد) الباحث في الدراسات الشرقية[٥٤] الا ان الشدياق اضطر تركها ايضاً بعد اشهر عدة فانتقل بعدها الى لندن، وبعد ذلك انتقل الى باريس ومنها الى مرسيليا عائداً الى مالطا، لذا كانت فترة اقامته قليلة لم تتجاوز الثمانية اشهر[٥٥].

تركت اقامة الشدياق القصيرة في بريطانيا شهرة ادبية لغوية ولاسيما في اوساط المرسلين المبشرين، ففي عام ١٨٤٨ دعته الجمعية مرة ثانية لترجمة التوراة، فلبى الشدياق الدعوة وكان هدفه الاول هو الالتحاق بالدكتور (لي)[٥٦]. وفي اثناء اقامته الشدياق في بارلي توفي ابنه الاصغر اسعد، وقد بلغ من العمر سنتين بسبب مرض اصيب به وهو السعال الخانق، مما اضطر الشدياق الى ترك قرية بارلي والذهاب الى كمبرج لتتم ترجمة التوراة تحت اشراف الدكتور (لي)، وبعد انتهاء ترجمة التوراة في اقل من عشرين شهر، اراد الشدياق العمل في احدى الكليات البريطانية، فرفض طلبه لانها ليست بحاجة الى استاذ في اللغة العربية. لذا قرر الشدياق مغادرتها عام ١٨٥٠ والذهاب الى باريس[٥٧]. وهناك اسباب متعددة دفعت الشدياق اختيار باريس بالذات منها رغبته في تعلم الفرنسية، ومعيشة فرنسا ارخص، ولغة العرب فيها اكثر نفعاً واشهر، وايضاً مرض زوجته الثانية، فنصحه الاطباء بنقلها الى العاصمة الفرنسية[٥٨]. الا ان زوجته اضطرت ترك الشدياق والسفر الى اسطنبول برفقة ابنه سليم، مما جعل الشدياق يعيش وحيداً وليس لديه الا المال القليل بعد صرف امواله في التسكع والقمار، فحاول الشدياق الخروج من هذا الوضع السيء الذي وصل اليه، فشغل نفسه بمدح بعض الاعيان وذوي الشأن، ومن ذلك مدحه (عبد القادر الجزائري)، فنظم قصيدة في مدحه وارسالها اليه، فسر الامير بالقصيدة واستدعى الشدياق لزيارته وقابله بغاية الاحترام[٥٩]. كما بعث رسالة الى الوزير التونسي مصطفى خزنة دار يطلب منه مساعدته بالمال، ومدح امبراطور فرنسا لويس نابليون الثالث (١٨٥٢-١٨٧٠) بقصيدتين[٦٠].

مكث الشدياق في باريس نحو عامين ونصف، وعلى الرغم من ان باريس لم تكن في مستوى الامال التي علقها عليه، ومع كل هذا فان باريس افادت الشدياق في جوانب عدة نذكر منها تعلم اللغة الفرنسية التي مكنته من الاطلاع على الثقافة الفرنسية وادبها والتعرف على اعلامها (روسو) و (مونتسكيو) و (فولتير) وهم من الممهدين للثورة الفرنسية، كما اتيح له هذه الاقامة الباريسية ان تعيش المدينة الفرنسية في تحولاتها الخطيرة خلال القرن التاسع عشر[٦١] وهذا اعانهُ على تأليف كتابه (الساق على الساق)، فيما هو الفارياق وهو قاموس بحد ذاته بسبب احتوائه على كم هائل من المترادفات النادرة التي تبرهن على ثراء لغة الضاد[٦٢] كما اشترك الشدياق مع كشاف دوغا عضو الجمعية الاسيوية في تأليف كتاب (السند الراوي في العرف الفرنساوي)[٦٣].

عاد الشدياق مرة ثالثة الى بريطانيا في عام ١٨٥٣، بحثا عن عمل له، لكنه لم يوفق في بأدئ الامر فلجأ الى مدح ذوي الشأن، منظم قصيدة في مدح ملكة بريطانيا لم يات عنها أي جواب[٦٤]. ومع قيام الحرب العثمانية الروسية حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) نظم قصيدة في مدح السلطان عبد المجيد(١٨٣٩-١٨٦١) وقدمها الى صدر الاعظم رشيد باشا عن طريق السفير العثماني بلندن، ولم تمض ايام حتى جاءه الجواب بتعينه موظفاً في ديوان الترجمة السلطاني[٦٥]. فرح الشدياق بخبر تعينه للالتحاق بزوجته التي سبقته الى اسطنبول وابنه سليم، غير ان ظروفاً غامضة منعته من السفر للالتحاق بوظيفته الجديدة مما جعل الشدياق يضطر ان يعمل كاتباً في محل الخواجات في لندن[٦٦]. لكن هذا العمل المتعب لم يصرفه عن الكتابة، فأنكب على وضع كتابه الثاني في احب الرحلات وهو (كشف المخبأ عن فنون اوربا) فصل فيه سياحته في بلاد اوربا وعادات اهلها وادبهم واخلاقهم.

عانى الشدياق خلال هذه المدة ظروفاً صعبة بسبب تشتت عائلته من الجهة، وفصله من عمله بعد ان مضى السنتين فيه، ومن خلال هذه الازمة التي اخذت تضيق شياءاً فشياءاً على حياة الشدياق-[٦٧].

الشدياق في تونس (١٨٤١-١٨٥٩)

زار الشدياق تونس في عام ١٨٤١ سائحاً خلال العطلة المدرسية في المدارس المالطية، الا ان احداً ممن عرفهم بالعاصمة التونسية قال "لو مدحت اليها المعظم فانه اكرم من اعطى، وانعم، وأثر الناس ارتياحاً الى الجود والمعروف"[٦٨].

وما ان عاد الشدياق الى مالطا حتى نظم قصيدة في مدح واليها احمد باشا وارسلها اليه، فعجب بها الوالي والدليل على ذلك ان الاخير بعث له بهدية من الماس ومعها كتاب من وزيره مصطفى باشا خزنة دار[٦٩].

وهكذا حققت تلك الزيارة السياحية للشدياق من المنافع اكثر مما كان يؤمل، اذ رفعت ذكره لدى البلاط التونسي، ويسرت له التعرف بامرائها واهلها[٧٠].

اما الزيارة الثانية للشدياق الى تونس فكانت في عام ١٨٤٧ وقد وصل الشدياق له خبر سفر باي تونس احمد باشا الى باريس، بدعوة من الحكومة الفرنسية للاطلاع على مظاهر الحضارة الاوربية، وكان باي تونس قد تبرع لفقراء مرسيليا و باريس بمبالغ مادية، فنظم الشدياق قصيدة مشهورة في مدحه مطلعها[٧١]:

زارت سعاد وثوب الليل مسدولٌ فما الرقيبٌ بغيرِ النشرِ مدلول.

بعث الشدياق بالقصيدة الى باي تونس على يد من اوصلها اليه، فحازت قبول الاخير وبعث اليه يستقدمه على سفينة حربية، ونزل الشدياق في دار باي تونس، وقد حظى الشدياق بالاكرام والترحيب[٧٢]، فقال:

"لعمري ماكنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً ينفق فيها ولكن اذا اراد الله بعبد خيراً لم يعقه عنه الشعر ولا غيره"[٧٣].

وفي اثناء تواجده في تونس كلفه الوزير مصطفى خزنة دار بان يكون عيناً ومخبراً سياسياً ينقل اليه مايهمه، ويهم الدولة التونسية من انباء السياسة الدولية وغير ذلك نقلاً عن الصحافة البريطانية مقابل مكافأة مالية يمنحها للشدياق، ويبدو ان الشدياق كان هدفه من وراء قامة علاقات مع تونس وحكامها، وان تكون مقراً يوفر له الطمأنينة النفسية، ويضمن له العيش الرغيد، لكن تونس لم تفتح ابوابها على مصراعيها[٧٤]. الا بعد ان وجهت له دعوة الاقامة بتونس للمرة الثالثة على لسان خير الدين التونسي[٧٥].

جاءت تلك الاقامة بعد اللقاء الذي تم بين الشدياق والوزير خير الدين التونسي في لندن عام ١٨٥٧، وكان الشدياق قد انشاء قصيدة مدحه بها (فوضعت لديه موقعاً حسناً وتكرم عليه بوظيفة حسنة عنده في تونس)[٧٦]. وعهد اليه برئاسة تحرير جريدة الرائد التونسي، ولعل ابرز حادثة في حياة الشدياق في تونس هو اعتناقه الدين الاسلامي[٧٧].

اختلف المؤرخون في سبب اسلامه، فمن قال بانه نتيجة طمعه في المناصب[٧٨] ومنهم من قال بانه نتيجة مجادلات في العقائد الدينية وقعت بينه وبين شيخ الاسلام[٧٩].

تسمى الشدياق بعد اسلامه (أحمد) وتكنى بأبي العباس[٨٠]. استمرت اقامة الشدياق الاخيرة من تونس نحو السنتين من عام ١٨٥٧الى عام ١٨٥٩، استطاع الشدياق خلالها من ان يبلور تفكيره الاسلامي من خلال مباحثاته مع المصلحين التونسين، كما انها عمقت ثقافته بالمحاورات مع شيوخ تونس وعلمائها، ولعل لهذه المحاورات اثر في كتبه التي كان يراجعها وينقحها وهو بتونس[٨١].

لم يطل الشدياق بتونس على الرغم من قربه من الباي وتوليه اعلى المناصب، فلما كررت الاستانة دعوته اليها غادر تونس ملبياً دعوة السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٩)[٨٢].

الشدياق في الاستانة (١٨٥٩-١٨٨٧)

انتقل الشدياق الى عاصمة الدولة العثمانية (اسطنبول) للعمل هناك، بناءً على دعوة السلطان العثماني له، ولم تكن هذه الدعوة الاولى للشدياق، فكان السلطان عبد المجيد الاول قد دعاه سابقاً. اما هذه المرة فقد عين الشدياق رئيساً للمصححين بالمطبعة السلطانية، عمل في تصحيح مطبوعات الحكومة، ويرجح اليه في كل ما يكتب ويطبع باللغة العربية، كما اشتغل بنشر الكتب القديمة[٨٣]. واهم عمل قام به الشدياق من جانب الاثر الفكري هو عمله بالصحافة وانشاؤه (صحيفة الجوائب) وهي صحيفة سياسية اسبوعية[٨٤].

كانت الجوائب من اشهر الصحف العربية واشدها رواجاً، ووصفت بانها اروع صحيفة عربية عرفها الشرق منذ ظهور الصحافة العربية فيه[٨٥]، وكان ملوك العرب والامراء والعلماء في العالم يهادونه ويمنحونه المنائح، وذلك لترويج افكارهم ومصالحهم[٨٦]. وكان في مقدمتهم السلطان عبد العزيز(١٨٦١-١٨٧٦) لان مقالات الشدياق في الجوائب ايدت بصراحة سياسة السلطان ودعوته الى الجامعة الاسلامية واعادة الخلافة[٨٧]. وكان الشدياق يتقاضى مبلغ خمسمائة ليرة عثمانية سنوياً[٨٨].

فضلاً عن ذلك، عقد الشدياق، كعلم من اعلام الصحافة، اواصر الود مع بعض ولاة السلطان في الشرق وفي مقدمتهم محمد الصادق باشا باي تونس الذي ترك له الشدياق ولده سليم ليكون محرر الصحيفة (الرائد التونسي)[٨٩].

اما حسن صديق خان، ملك بهو بال الهند، فقد طبعت له مطبعة (الجوائب) معظم مؤلفاته العربية[٩٠].

اما علاقة الشدياق بخديوي مصر، اسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩)، كانت علاقة ود وصداقة، فقد ايدت الجوائب سياسة الخديوي دون قيد او حدود، وظلت علاقة الشدياق بالخديوي اسماعيل حتى بعد عزله، عن السلطة عام ١٨٧٩، حيث تنكر له خصومه وانفض عنه اعوانه، ولم يبق له نصير بين رجال الصحافة داخل مصر وخارجها، الا احمد فارس الشدياق[٩١].

ويذكر ان الشدياق ظل وفياً لبيت محمد علي، وان قلت عنايته بالسياسة المصرية بعد عزل اسماعيل، غير انه وقف الى جانب الخديوي توفيق (١٨٧٩- ١٨٩٢)، فنشر مقالاته ضد القائد احمد عرابي (١٨٣٩-١٩١١) وثورته الشعبية في مصر عام ١٨٨٢، مما ادى بالشدياق الى الدخول في امور غير محمودة العواقب لم تجلب له من القراء الا السخط وعدم الرضا[٩٢].

اما ادارة (جريدة الجوائب)، فكان الشدياق هو من يتولى ادارتها مع عدد محدود من العمال، ثم ساعده ابنه سليم في ادارتها، وقد ظل سليم يساعد اباءه في ادارة وتحرير الجريدة الى ان تسلمها منه عام ١٨٨٢ بعد ان غلب على اباءه العجز وضعف البصر يساعده في ذلك احد محرريها المشهورين هو رسول النجاري[٩٣]. الا ان المشورة والارشاد والتوجيه ظلت للشدياق كونه ذي خبرة طويلة والحنكة السياسية التي تتطلبها اية صحيفة للدوام والاستمرار[٩٤].

توقفت الجوائب عن الاصدار في ام اسطنبول، لاسباب عدة، وفي مقدمتها الشيخوخة التي حلت بالشدياق، فاعتزل القلم مكرهاً، وسافر مع ابنه سليم الى مصر[٩٥]، وهكذا انتقلت الجوائب الى مصر، لكن باسم اخر هو (القاهرة)، لكن المنهج الذي توخته وهو التقريب بين الاستانه ومصر جعلها تحتجب بسرعة، فقرر سليم باصدارها ثانية باسم (القاهرة الحرة) وكما فشلت التجربة الاولى مع (القاهرة) فشلت التجربة الثانية مع (القاهرة الحرة) ، بسبب عدم موافقة ورضى مصر على صاحبها ومحررها، فتركها سليم و سافر الى اوربا، بعد ثلاث وعشرين عاماً في جهد فكري، وعبقرية صحفية فذة[٩٦].

مرض الشدياق في اواخر ايامه، مما جعله يفكر ان بقائه في مصر دون جدوى على الرغم مما حظي به لدى اهلها وحكامها في اكرام وحفاوة وتبجيل، فاضطر العودة الى اسطنبول ، بعد مراسلة معارفه من شخصيات الدولة العثمانية راجياً منهم ان يوفر له معاشاً يؤمن به بقية ايامه[٩٧].

توفي الشدياق في ٢٠ ايلول ١٨٨٧، في مصيفه (بقاضي كوك)، بعد ان بلغ الرابعة والثمانين من عمره، فاذاعت شركة (رويتر) التلغرافية نبأ وفاته، ورثاه الكبراء والعظماء والصحف على اختلاف لغاتها، وبعد تسعة ايام شيعت جثته من اسطنبول الى جبل لبنان. مسقط راسه عملاً بوصيته[٩٨]. ودفنت في محلة الحازمية قرب مدينة بيروت، وكان لتشيع جنازة الشدياق في بيروت احتفاء كبير مشى فيه كبار المأمورين واعيان البلاد وعلماؤها وافاضلها[٩٩]. وفي مقدمتهم الامراء بنو شهاب والمشايخ من كل طائفة، والعلامة ابراهيم الاحدب والاستاذ محمد اللبابيدي، والامير شكيب ارسلان واخرون[١٠٠].

ويمكن وصف المرحلة الاخيرة في حياة الشدياق، بانها كانت رحلة شبه استقرار لانه عرف معنى الاستقرار النفسي والعاطفي والمادي والمهني بعد سنين التشرد والضياع في مالطا واوربا، كما انها مرحلة الجاه والنفوذ، لما كانت له من علاقات في الدولة العثمانية مع اعلام الساسة والفكر، لما اجادوا به عليه معاصرون من ثناء وتقدير ورتب والقاب وهدايا وصلات، ومرحلة النضج الفكري ويتضح في اثاره العديد. التي نشرها في هذه المرحلة مثل (سر الليال في القلب والابدال) و (الجاسوس على القاموس) ولاسيما جريدة الجوائب، وهي مرحلة النهضة التي كان الشدياق من دعاتها حتى قبل استقراره بالاستانة، لكن عند دخوله في هذه المرحلة فخص لها الجهد، واصبحت شغله الشاغل ومحور تفكيره وكتاباته، وهذه المدة هي ليست مهمة بالنسبة للشدياق فحسب، بل للعرب والمسلمين ايضاً، إذ عدت اهم مدة عرفها العرب والمسلمين في القرن التاسع عشر لما اتسمت به من مخاض حضاري وصراع بين القديم والجديد والانحطاط والتقدم[١٠١].

أهم أثار و مؤلفات الشدياق

لم يتفق الباحثين بعد على العدد النهائي لمؤلفات الشدياق بسبب جهلهم لما تركه من المخطوطات، ولتوزع مطبوعاته على البلاد التي زارها، ولان كثيراً من كتبه اصلها سلسلة مقالات نشرها بالجوائب، ولان الشدياق فيما يبدو لم يحص اثاره في حياته بدقة، كما ان ورثته تغاضوا عن ذلك بعد مماته[١٠٢]. ومن اهم هذه الاثار و المؤلفات هي:

١. **خبرية اسعد الشدياق:-** وهي حكاية ماجرى لاخيه اسعد في الاضطهاد ولسبب دخوله في المذهب، وقد طبع في مالطا عام ١٨٣٣[١٠٣].
٢. **الواسطة في معرفة احوال مالطة:-** وهو كتاب وصف فيه هذه الجزيرة وصفاً شاملاً لم يغادر شيئاً فيها الا احصاه، وعن عادات اهلها ولغتهم واخلاقهم وقد طبع الكتاب في مالطا عام ١٨٣٤، وطبعة ثانية في الاستانة في مطبعة الجوائب عام ١٨٨١[١٠٤].
٣. **الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية:-** وهو كتاب مدرسي لتعليم اللغة الانكليزية وقد طبع في مالطا عام ١٨٣٦، ام الطبعة الثانية فقد طبعت في لندن (١٨٨١-١٨٨٢) وطبعت معها المحاور الاساسية في اللغتين الانكليزية والعربية[١٠٥].
٤. **اللفيف في كل معنى ظريف:-** وهو كتاب من جزئين، طبع الاول منه في مالطا عام ١٨٣٩، اما الثاني فطبع في الاستانة عام ١٨٨١، وقد جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً ماثورة وامثالاً ادبية وحكايات تهذبية ونكاتاً لغوية[١٠٦].
٥. **شرح طبائع الحيوان:-** وهو مترجم عن الانكليزية، وهو تأليف ماير (w.f.Mair) وعنوانه الاصلي هو (Natural history for the use of school) ويبحث في ذوات الاربع والطير خاصة، وطبع في مالطة عام ١٨٤١[١٠٧].
٦. **سند الراوي في الصرف الفرنساوي:-** وهو كتاب لتعليم اللغة الفرنسية، وتم الاشتراك مع غوستاف دوجا، وضع في باريس عام ١٨٤٣[١٠٨].
٧. **الساق على الساق:-** فيما هو الفارياق او ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام: اذ مثل نتاج المرحلة الباريسية بصعوبتها المختلفة، والتي تمتع فيها باوج قوته الادبية، طبع في باريس عام ١٨٥٥ ويعد من اغنى الاثار الادبية التي ظهرت خلال عصر النهضة على الاطلاق[١٠٩].
٨. **ترجمة الكتاب المقدسي:-** طبع في لندن عام ١٨٥٩.
٩. **كشف المخبأ عن فنون اوربا:-** ووصف فيه سياحته في اوربا، كما وصف عادات البريطانيين وادابهم واخلاقهم واسرار تقدمهم، وقد طبع هذا الكتاب اكثر من مرة[١١٠].

١٠. **غنية الطالب ومنية الراغب:-** وهو كتاب مدرسي في النحو والصرف وحروف المعاني، طبع في الاستانة عام ١٨٧١، والطبعة الثانية عام ١٨٨٨.
١١. **كنز اللغات:-** وهو بلغات عدة فارسية و تركية و عربية طبع في بيروت عام ١٨٧٦ [١١١].
١٢. **الجاسوس على القاموس:-** وهو كتاب ممتع وحامل بالفوائد اللغوية، وهو انتقاد على خطأ الفيروز ابادي في قاموسه المحيط، وهو يكشف عن بعض هفوات الفيروز ابادي، يشتمل على مقدمة واربعة وعشرين نقداً وخاتمة، وطبع في الاستانة عام ١٨٨٢، وتبلغ صفحاته نحو ٦٩٠ صفحة[١١٢].
١٣. **سر الليال في القلب والابدال:-** وهو كتاب ضم معظم ارائه ونظرياته في اللغة، وفيه تظهر مقدرته اللغوية، وهو في جزئين، طبع اولهما في الاستانة عام ١٨٨٤، والثاني لايزال محفوظاً[١١٣].
١٤. **فلسفة التربية والادب:-** وهو جملة اقوال مختارة في حكم الشدياق الادبية التي نشرها في الجوائب، وقد طبع على نفقة علي الحطاب في الاسكندرية عام ١٩٢٤[١١٤].
١٥. **كنز الرغائب في منتخبات الجوائب:-** ويتألف من سبعة اجزاء، شمل الجزء الاول على مقالات ادبية، والثاني يحتوي على ذكر وقائع حرب السبعين بين فرنسا والمانيا، والثالث يحتوي على بعض القصائد التي نظمها في الاستانة اما الرابع فيشتمل على قصائد الادباء في مدح الشدياق اما الخامس و السادس و السابع فيشتمل على ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية ومن جملتها الاوامر السلطانية[١١٥].

فضلاً عن ذلك نذكر ايضاً (جريدة الجوائب)، كما هناك كتب الفها ولم تطبع منها (كتاب النفائس) في انشاء احمد فارس الشدياق، (والتقنيع في علم البديع)، (والروض الناصف في ابيات ونوادر)، ورسائل ومحررات ادبية، وايضاً ديوان شعري في نظمه يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت، كما الف كتاباً في اللغة سماه (منتهى العجب في خصائص لغة العرب)، وقضى تاليفه سنين عديدة، وقد بلغ مجلدات كثيرة وموضوعة البحث في خصائص الحروف الهجائية العربية[١١٦].

ان مؤلفات الشدياق باختلاف عناوينها وتنوع موضوعاتها وتعدد اجزائها انما هي صورة حية عن حياة الشدياق في مختلف جوانبها واهتماماتها وحيرتها النفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية، كما هي صورة ناطقة عن جدلية الشرق والغرب وعن اوضاعها الحضارية في حالتي التخلف والتقدم في القرن التاسع عشر وحتى فيما قبله من الازمنة، وهذا يدل على مدى وعي الشدياق بقضايا عصره ولاسيما باشكالية النهضة والتقدم وهو الموضوع الرئيسي الذي رسم كل كتاباته بمختلف اختصاصاتها واهتماماتها وربط بينهما برباط وثيق حتى بدت كأنها اثر واحد يعالج اشكالية واحدة لكن بالوان مختلفة[١١٧].

الخاتمة

من خلال دراسة شخصية الشدياق والتعرف على حياته واثاره يمكننا الاشارة الى بعض الاستنتاجات منها:-

١. يمثل الشدياق احد الرموز الفكرية والادبية في عصر النهضة خلال القرن التاسع عشر، فهو صحفي، ومترجم، وكاتب، واديب، ولغوي، وقاص، وروائي، وناقد اجتماعي.
٢. تميزت شخصية الشدياق بانها ذا سلاسة في الاسلوب، ووضوح في المعنى والهدف، وقدرة فذة على التحليل والوصف والنظم والنشر، كما تفوق في اللغة والبلاغة والنحو، مما جذب اليه العديد من ذوي الشأن والسلطة.
٣. اكسبته رحلاته واسفاره وسعة اطلاعه على فضح العيوب الاجتماعية في مجتمعات الشرق والدعوة للتخلص منها.
٤. ساهم الشدياق وبشكل فعال في نشر الثقافة العربية من خلال تعليم اللغة العربية في المدارس الاوربية، وتأليف العديد من الكتب المنهجية ومؤلفات في اختصاصات عدة.
٥. تعد مطبعة الجوائب التي اسسها الشدياق من اشهر المؤسسات الثقافية والعربية الاسلامية في القرن التاسع عشر، حيث اسهمت في طبع ونشر عدد من امهات التراث العربي. ومما جعل العديد من المستشرقين يشيدون بالدور الكبير الذي لعبه الشدياق آنذاك حيث وصفه المستشرق والمؤرخ المشهور (جب) Gibb بانه "احد الابطال العظام المدافعين عن الاسلام".
٦. كانت وفاة الشدياق خسارة كبيرة ليس لوطننا العربي فحسب بل للعالم اجمع، وما يؤكد ذلك ان تشيع جثمانه قد حضره العديد من كبار العلماء والولاة والحكام، الا ان ذكراه ظلت حاضرة حتى وقتنا الحاضر حيث يشار اليه بأنه احد رواد النهضة العربية الحديثة.

المصادر

١. لقب الشدياق كان في الاصل يطلق على الشمامسة (جمع شماس) من رجال الدين، ثم اخذ القوم يتوسعون في استعماله حتى صار من القاب الشرف التي تطلق على كبار القوم المتعلمين والكتاب الذين يرتفعون عن طبقة الاميين.
ينظر: محمد عبد الغني حسن، احمد فارس الشدياق، مكتبة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص٣؛ محمد الهادي المطوي ، احمد فارس الشدياق ١٨٠١-١٨٨٧، ج١ ، بيروت ، ١٩٨٩، ص٤٦ .
٢. جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص١٠١؛ مارون عبود، احمد فارس الشدياق صقر لبنان، ط٢، دار مارون عبود، د.م، ١٩٧٥، ص١٠٥.

٣. محمد احمد خلف، احمد فارس الشدياق وارآه اللغوية والادبية، مطبعة الرسالة، د.م، ١٩٥٥، ص١٣.
٤. محمد عبد الغني حسن، المصدر السابق، ص٣-٤.
٥. محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص١٣.
٦. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق ص٤٦.
٧. ميخائيل صوايا، احمد فارس الشدياق حياته – اثاره، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ١٩٦٢، ص١٧.
٨. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق ص٤٧؛ مارون عبود، المصدر السابق، ص١٠٨.
٩. عماد الصلح، احمد فارس الشدياق اثاره وعصره، ط٢، بيروت،١٩٨٧،ص١٩.
١٠. احمد فارس الشدياق، الساق على الساق، تقديم الشيخ نسيب وهيب الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦، ص٨٣.
١١. عين ورقة:- وهي من اشهر المدارس المارونية التي انشئت في القرن الثامن عشر في لبنان، اسسها البطريرك يوسف اسطفان عام ١٧٨٧ حين حول دير القديس انطونيوس في قرية عين ورقة من قرى كسروان الى معهد عال تدرس فيه اللغة والفصاحة والمنطق واللاهوت والسريانية واللغات الاجنبية، وهذه المدرسة تخرج منها زعماء النهضة الادبية العربية مثل المعلم بطرس السبتاني، ورشيد الدحداح. لمزيد من التفاصيل ينظر:- كمال الصلبي، تاريخ لبنان الحديث، بيروت، د.ت، ص١٦٤-١٦٥؛ محمد عبد الغني حسن، المصدر السابق، ص٣٦.
١٢. محمد احمد خلف الله، المصدر السابق، ص١٣-١٤؛ محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٥٠.
١٣. محمد احمد خلف الله، المصدر السابق، ص١٤.
١٤. المذهب الماروني:- ينتسب معتنقي المارونية الى القديس مار مارون، وهي من ابرز الطوائف اللبنانية بسبب الدور السياسي الذي ادته بتلك البلاد؛ لمزيد من التفاصيل ينظر:- محمد علي ضناوي، قراءة اسلامية في تاريخ لبنان والمنطقة من الفتح الاسلامي ونشأة المارونية حتى ١٨٤٠، دار الايمان للطباعة والنشر، د.م، ١٩٨٥، ص٤٩.
١٥. المذهب البروتستاني، حركة دينية نشأت في حركة الاصلاح قامت على افكار تحريرية في الامور الدينية والدنيوية، كاعطاء الفرد حرية التقد ير والحكم على الامور، والتسامح الديني. كما حددت البروتستانية مسؤولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة. لمزيد من التفاصيل ينظر:- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، دار الجبل، د.م، ١٩٩٥؛ ص٣٥٧.
١٦. عبد العزيز سلمان نوار، وثائق اساسية عن تاريخ لبنان الحديث، منشورات جامعة بيروت، بيروت، ١٩٧٤، ص٣٥١.
١٧. محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص١٥.
١٨. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٥٤.
١٩. لم تذكر سنة ولادة احمد فارس الشدياق لاختلاف اراء المؤرخين في تحديدهم لتاريخ ولادته، وقد ترددوا بين تواريخ ثلاث وهي عام ١٨٠١ وهي التي اعتمدها كل من عماد الصلح والزركلي وبرو كامان، وعام ١٨٠٤ والتي اعتمدها كل من دائرة معارف البستاني في جزئها العاشر الصادر عام ١٨٩٨ برعاية نجيب وامين البستاني، ام عام ١٨٠٥ واول من قال به جريدة الاهرام القاهرية، ثم اعتمده بولس مسعد ومحمد عبد الغني حسن، ومحمد احمد خلف الله وغيرهم.
٢٠. يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج٤، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨، ص١١٠٤؛ محمد عبد الغني حسن، المصدر السابق، ص٤.
٢١. احمد فارس الشدياق، المصدر السابق، ص٨٤.
٢٢. وفاء يوسف ابراهيم زبادي، الاجناس الادبية في كتاب الساق على الساق في ماهو الفارياق لاحمد فارس الشدياق، رسالة ماجستير (غير منشورة)؛ كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٩،ص٩.
٢٣. ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص١٨.
٢٤. عماد الصلح، المصدر السابق،ص٢١.
٢٥. حيدر الشهابي:- وهو احد الامراء الشهابين تولى الامارة (١٧٠٧-١٧٣٠) يعد زعيماً للقيسيين اذ خاض معركة ضد العرب اليمنيين وهي معركة عين دارة وحقق انتصار عليهم، له عدة مؤلفات اهمها:- (الغرر الحسان في تاريخ الزمان) و (نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان) . لمزيد من التفاصيل ينظر:-حيدر الشهابي، تاريخ لبنان في عهد الامراء الشهابيين، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني، المكتبة البوليسية، ط٢، د.م، ١٩٨٤، ص٢٩.
٢٦. وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١٠.
٢٧. محمد احمد خلف الله، المصدر السابق، ص٢٢.
٢٨. احمد فارس الشدياق، المصدر السابق، ص٤٧.
٢٩. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٦٧-٦٨.
٣٠. زكي النقاش، دور العروبة في تراثنا اللبناني، بيروت، ١٩٧٤، ص٩٩؛ ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٢٢.
٣١. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٧٢.
٣٢. وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١١-١٢.
٣٣. احمد فارس الشدياق، المصدر السابق، ص١٨٦.

٣٤. احمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة احوال مالطة وكشف المخبأ عن فنون اوربا، ط٢ مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ١٢٩٩هـ، ص١٤.
٣٥. يوسف اسعد داغر، مصادر الدراسة الادبية، ج٢، منشورات جمعية اهل القلم، لبنان، ١٩٥٦ ص٤٧٣؛ زكي النقاش، المصدر السابق، ص٩٩.
٣٦. جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١٠٣؛ ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٢٥.
٣٧. جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١٠٣-١٠٤.
٣٨. احمد فارس الشدياق، الواسطة في معرفة احوال مالطة، ص١-٤٠.
٣٩. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٤٠.
٤٠. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٩٠.
٤١. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٤٠.
٤٢. ابراهيم عبده، اعلام الصحافة العربية، ط٢، مكتبة الاداب، د.م، ١٩٤٨،ص٣٧.
٤٣. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٩٢.
٤٤. احمد فارس الشدياق، الساق، ص٤٩٧.
٤٥. محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص٣١.
٤٦. الدكتور (لي) من اساتذة جامعة كمبرج، درس العربية فيها، ولم يحسن التكلم بها ولو بجملة واحدة. ينظر: وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١٣.
٤٧. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٤٠.
٤٨. المصدر نفسه، ص٥٧.
٤٩. احمد فارس الشدياق، الساق على الساق، ص٤٦٨.
٥٠. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٥٨.
٥١. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٠١.
٥٢. عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٣٥٢.
٥٣. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٠٣.
٥٤. وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١٤.
٥٥. محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص٤١.
٥٦. محمد عبد الغني حسن، المصدر السابق، ص٦-٧.
٥٧. ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٢٧.
٥٨. احمد فارس الشدياق، الساق، ص٦١٦.
٥٩. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٦٧.
٦٠. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٢٠.
٦١. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٦٨.
٦٢. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١.
٦٣. هاشم شفيق، الساق في ترجمة كاملة الى الانكليزية، جريدة الاسبوعي، بيروت، تشرين الاول، ٢٠١٤، ص١٩.
٦٤. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٧٠.
٦٥. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١.
٦٦. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.
٦٧. حسن السندوبي، اعيان البيان في القرن الثالث عشر الهجري الى اليوم، مصر، ١٩١٤، ص١١٥.
٦٨. احمد فارس الشدياق، الساق، ص٤٩٩.
٦٩. المصدر نفسه، ص٤٩٩-٥٠٠.
٧٠. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٢٦.
٧١. لويس شيخو اليسوعي، الاداب العربية في القرن التاسع عشرن ج٢، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٦، ص٨٦.
٧٢. فيليب متى، لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريحة، بيروت، ١٩٥٩، ص٥٥٤.
٧٣. جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١٠٥؛ مارون عبود، المصدر السابق، ص١١٢.
٧٤. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٦١-٦٢.
٧٥. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٣٠-١٣١.
٧٦. خير الدين التونسي (١٨٢٠-١٨٩٠):- وزير و مؤرخ من رجال الاصلاح الاسلامي شركسي الاصل، قدم صغيراً الى تونس واتصل بصاحبها (الباي احمد)، وتقلد مناصب عدة اخرها الوزارة، الا انه ابعد عنها في عام ١٨٧٧، فخرج الى الاستانة وتوفي فيها، وله كتاب (اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك). ينظر وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١٥.

٧٧. عماد الصلح، المصدر السابق، ص٧٧.
٧٨. فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج١، بيروت، ١٩١٣، ص٩٦.
٧٩. لويس شيخو، المصدر السابق، ص٨٦.
٨٠. حسن السندوبي، المصدر السابق، ص١١٢.
٨١. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١، د.م، ١٩٥٧، ص٢٢٥؛ مارون عبود، المصدر السابق، ص١١٣.
٨٢. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٤٥.
٨٣. المصدر نفسه، ص١٤٩.
٨٤. ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٢٩.
٨٥. اختلف المؤرخون، سنة صدور صحيفة الجوائب فقد ذكرها محمد عبد الغني حسن عام ١٨٦٠، بينما ذكرها ميخائيل صوايا ومارون عبود وعماد الصلح وجرجيس زيدان عام ١٨٦١.
٨٦. ابراهيم عبدة، المصدر السابق، ص٣٨.
٨٧. هاشم ياغي، ملامح المجتمع اللبناني الحديث، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤، ص١٠٥؛ محمد كرد علي، غرائب الغرب، ج١، ط٢، مصر، ١٩٢٣، ص٨٦.
٨٨. نازك سابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٩.
٨٩. فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص٦١.
٩٠. ابراهيم عبده، المصدر السابق، ص٣٩.
٩١. محمد كرد علي، المصدر السابق، ص٨٦.
٩٢. محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص٤٩.
٩٣. شاكر النابلسي، عصر الكتابا والرمايا وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (١٥١٦- ١٩١٨)، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٦٠؛ ابراهيم عبده، المصدر السابق، ص٤١.
٩٤. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٠٩.
٩٥. ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٣٠.
٩٦. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٧٣.
٩٧. المصدر نفسه، ص١٧٧.
٩٨. فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص٩٩.
٩٩. سحر ماهود، اثر الارساليات التبشيرية الاوربية في واقع التعليم في جبل لبنان ١٨٠٠- ١٨٥٦ (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص١٠٤؛ جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١٠٩.
١٠٠. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٨١.
١٠١. المصدر نفسه، ص١٨٣-١٨٥.
١٠٢. المصدر نفسه، ص١٩٠.
١٠٣. اليان سركيس، المصدر السابق، ص١١٠٦.
١٠٤. ميخائيل صوايا، المصدر السابق، ص٥٨- ٦٥؛ حسن السندوي، المصدر السابق، ص١١٥.
١٠٥. جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١٦٣.
١٠٦. المصدر نفسه، ص١١٣؛ يوسف اسعد داغر، المصدر السابق، ص٤٧٤.
١٠٧. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٩٣-١٩٤.
١٠٨. يوسف اسعد داغر، المصدر السابق، ص٤٧٤؛ جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١١٣.
١٠٩. وفاء يوسف ابراهيم، المصدر السابق، ص١٨-١٩.
١١٠. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص١٩٩-٢٠٠.
١١١. يوسف اسعد داغر، المصدر السابق، ص٤٧٥.
١١٢. لويس شيخو، المصدر السابق، ص٨٧؛ جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١١٢.
١١٣. يوسف اسعد داغر، المصدر السابق، ص٤٧٥.
١١٤. يوسف اليان سركيس، المصدر السابق، ص١١٠٦.
١١٥. المصدر نفسه، ص١١٠٦؛ يوسف اسعد داغر، المصدر السابق، ص٤٧٥.
١١٦. جرجي زيدان، المصدر السابق، ص١١٣-١١٤؛ محمد احمد خلف، المصدر السابق، ص١١-١٢.
١١٧. محمد الهادي المطوي، المصدر السابق، ص٢٣٣.
١١٨. المصدر نفسه، ص٢٣٣-٢٣٤.